

## صراع الإنسان مع المسافات

أ.د. حامد طاهر

مر الإنسان فى صراعه مع المسافات بثلاث مراحل ، تمثلت فيما يلى

— تباعد المسافات

- اختصار المسافات

- إلغاء المسافات

وقبل أن نتحدث عن كل واحدة من هذه المراحل ، نستطيع أن نعرف المسافة بأنها : المساحة التى تمتد من موضع إلى آخر ، أو من نقطة إلى أخرى . وبالطبع يمكن للإنسان أن يعبر هذه المسافة بكل سهولة إذا كان الطريق الموصل بينهما ممهداً ، ووسيلة المواصلات مواتية . لكن الأمر لم يكن أبداً كذلك ، ولذلك تأتى المرحلة الأولى التى امتدت آلاف السنين .

## المرحلة الأولى : تباعد المسافات :

بعد أن استقر الإنسان الأول قليلاً في مكانه من الأرض ، كان عليه أن يسعى لغيره في الأماكن الأخرى لتبادل المصالح وجلب المنافع . وبتصور أنه كان ينتقل في البداية على قدميه ، مجتازاً الصخور الصلدة ، والرمال الممتدة ، ومجاري الأنهار ، وكان في ذلك كله ما فيه من التعب والإرهاق وتهديد القوى . وهدما استأنس الحيوانات راح يستخدم الحمار والمجمل والحصان ، وهي الوسائل التي ساعدته في التحرك من مكان لآخر على البر . أما في البحر فقد طور المركب البسيط إلى سفينة كبيرة ، تتحرك إما بالأشعة ، التي كانت غالباً تحت رحمة الرياح ، وإما بالمجاديف التي كانت تستهلك القوة البدنية .

وهكذا ، مع وجود هذه الوسائل البسيطة ، ظلت المسافات متباعدة بالنسبة للإنسان ، ويمكن أن نقرأ في تلك الفترة أن المرحلة من مكان إلى آخر كانت تستغرق عدة شهور ، وأحياناً سنوات .

## المرحلة الثانية : اختصار المسافات :

كان على الإنسان أن يستخدم عقله لمحاولة تقليل المدة التي يستغرقها انتقاله من مكان إلى آخر . وكان المبحث عن أفضل الطرق أي (أقصرها) هو الحل الذي بدأ به . لكن تضاريس الطبيعة لم تجعل هذا الحل متاحاً في كل المناطق . فهناك الجبال العالية ، والأنهار المضطربة ، والمصحراوات المشاسعة . ولذلك راح الإنسان الذكي يبحث عن تطوير وسائل النقل ذاتها . وكان تحريك الآلات بالبخار إنجازاً مذهلاً ، ولذلك استغله في تسيير القطارات السريعة ، والسفن الأسرع .. ثم كانت الثورة الصناعية التي اخترعت فيها العجلة ، والموتوسيكل ، والسيارة .. وأخيراً الطائرة .

وهنا يمكن القول إن المسافات البعيدة قد تم اختصارها ، وما زال العمل جارياً على اختصار الاختصار نفسه ! وهذا واضح من تطوير القطارات التي اخترعتها اليابان بسرعة (160) ك م في الساعة ، وفرنسا بسرعة (200) ك م في الساعة ، وأخيراً الصين بسرعة (360) ك م في الساعة . أما الطائرات فممازالت الأسرع والأقدر على اختصار المسافات على نحو لو سمعه أجدادنا لما تخيلوا مجرد تصديقه !

## المرحلة الثالثة : إلغاء المسافات :

ومع الثورة التكنولوجية التي ظهرت فى نهاية القرن العشرين ، وبدأ تتضح فى مطلع القرن الحادى والعشرين ، شهد العالم كله ما لم يكن يتخيله منذ عشرات السنوات فقط . فبعد نقل الصوت بالراديو للمستمع ، ظهر التليفزيون الذى ينقل الصورة للمشاهد ، وبعدها ظهر التليفون المحمول الذى جعل اثنين من قارتين مختلفتين يتواصلان بكل وضوح . ثم أتاحت للناس جميعاً شبكة الإنترنت التى أحدثت ثورة من التواصل الاجتماعى من خلال الكتابة والصوت والصورة معاً .

وفى مجال التجارة ، التى كانت تتطلب انتقال المشتري إلى المائع وبالعكس ظهرت التجارة الإلكترونية ، وفيها لم يعد من الضرورى أن يلتقى المائنان وجها لوجه ، ولما أن تتم معاينة البضائع ، ولما حتى يجرى عد النقود .. بل يمكن ببساطة أن تتم عمليات البيع والشراء كاملة وكل فى مكانه ، وأحياناً يكون هذا المكان سيارة ، أو قطاراً ، أو طائرة ..

لكننا حين نقول (إلغاء المسافات) فإننا لا نعنى أن المسافات نفسها قد ألغيت ، وإنما هو تعبير مجازى يبين فقط أن الإنسان قد نجح أخيراً فى التغلب على : بعدها بعضها عن بعض ، وتجاوز العقبات التى كانت تضعها التضاريس فى طريقه ، وأخيراً بدائية وسائل المواصلات التى كانت تنقله عبرها .